رؤية الواقع
وأثرها على بناء الشخصية في رواية
يوتوبيا
لأحمد خالد توفيق،
دراسة تحليلية نقدية

إعداد

د. منتصر نبيه محمد صديق

مدرس بقسم الدراسات الأدبية،

كلية دار العلوم، جامعة المنيا.

رؤية الواقع وأثرها على بناء الشخصية في رواية يوتوبيا لأحمد خالد توفيق

منتصر نبيه محمد صديق

قسم الدراسات الأدبية، كلية دار العلوم، جامعة المنيا، المنيا، مصر.

البريد الإلكتروني: montaser_nabih@mu.edu.eg

ملخص البحث:

يهدف هذا البحث إلى دراسة بناء الشخصية في رواية يوتوبيا للكاتب أحمد خالد توفيق، وذلك من خلال تأثير رؤية الواقع – لدى الكاتب– على تشكيل وبناء هذه الشخصيات، ومن ثم تقف هذه الدراسة عند مفهوم الشخصية الروائية، وتتبع تحولاته من القديم للحديث، وكذلك علاقته ببقية عناصر العمل الروائي، ثم الوقوف على أبرز الثنائيات الضدية المرتبطة بالشخصية داخل رواية يوتوبيا، ورصد ملامحها، وذلك من خلال تلك الصورة التي عكسها لنا الكاتب عن الواقع.

وتقوم الدراسة بتوضيح وتحليل أبرز الأساليب التي اعتمد عليها الكاتب في بناء شخوصه الروائية، من وصف اجتماعي، ونفسي، وكذلك مادي، ووأيضًا الوقوف على أسماء وألقاب الشخصية كأحد العناصر التي تربط هذه الشخصيات برؤية الكاتب للواقع داخل الرواية.

وقد اعتمدت الدراسة على المنهج الفني الذي يقوم برصد وتحليل تلك الشخصيات الروائية، وبيان سماتها وطبيعتها من خلال تأثير هذا الواقع عليها.

الكلمات المفتاحية: الشخصية الروائية، الواقع ، يوتوبيا ، الثنائيات الضدية ، الوصف.

Grasping Reality and its Impact on Character Building in *Utopia* by Ahmed Khaled Tawfiq

Montaser Nabih Muhammad Siddiq
Department of Literature Studies, Faculty of Dar AL-Uloom, Minia University,Minia, Egypt.
Email: montaser_nabih@mu.edu.eg

Abstract:
The present study aims to examine character building in a novel entitled *Utopia* by Ahmed Khaled Tawfiq, through the influence of the writer's vision of reality on the formation and building of these characters. Then, the study investigates the concept of the narrative personality, and tracks its transformations chronologically, as well as its relation to the rest of the elements of novel. It explores the most prominent oppositional binaries associated with the character in the novel, and observes its features, through the image that the writer reflected to us about reality.

The study explains and analyzes the most prominent methods through which the writer has built his fictional characters, including social, psychological and physical descriptions. In addition, it identifies the names and titles of the character as one of the elements that link these characters to the writer's vision of reality within the novel. The study follows the artistic approach that observes and analyzes these fictional characters, and demonstrates their characteristics and nature through the impact of this reality on them.

Keywords: Fictional character , Reality , Utopia , oppositional binaries , Description.

- تمهيد:

رواية يوتوبيا هي رواية اجتماعية للكاتب أحمد خالد توفيق،([1]) صدرت له عن دار ميريت للنشر والتوزيع عام ٢٠٠٨م، وتتحدث هذه الرواية عن استشراف واقع المجتمع المصري في حدود سنة ٢٠٢٣م، وما يحدث به من صراعات متعددة بين أصحاب الطبقة الأرستقراطية، وبين أصحاب الطبقة الفقيرة الذين ينعتهم الكاتب في روايته ب (الأغيار) على لسان شخوصه، ويقصد بهذا المصطلح: جميع الأشخاص الذين يعيشون خارج أسوار مدينة يوتوبيا ويتصفون بالفقر والمرض، والبؤس وغيرها من الأوصاف التي ينعت بها أهل هذه المدينة(يوتوبيا) الفقراءَ.

والرواية تنتمي إلى أدب (الديستوبيا) الذي يتجه إلى نقد الواقع ورصد أبرز مساوئه ومشكلاته للوصول إلى عالم مثالي، ومجتمع يوتوبي أفلاطوني أو ما يعرف بأدب المدينة الفاضلة، ولذلك أطلق الكاتب مصطلح (يوتوبيا) على روايته، والذي يعني أدب المدينة الفاضلة، وهو مصطلح يوناني يشير إلى المجتمعات المثالية، فالكاتب في روايات أدب اليوتوبيا يمزج دائمًا بين الواقع والمتخيل، ذلك الواقع الذي يراه ملموسًا من حوله وبين رؤيته التخيلية الخاصة، التي يحاول من خلالها تغيير هذا الواقع وتعديله، "وفي هذا السياق يرتئي الراوي إلى تصوير عوالمه، مسقطًا توجهاته الفكرية، وما يخالج نفسه فيشحنها بمشاعر يصطحبها من الواقع بأبعاده الثقافية والسياسية والفكرية محددًا النمط الذي ينتمي إليه النص الروائي بين واقعية، وتخوم فانتازية تتجاوز المعقول"[٢].

والكاتب جاء اختياره لاسم تلك المدينة (يوتوبيا) مغايرًا لمدلولها داخل روايته، فإن كان هذا الدال(يوتوبيا) يحمل معنى المدينة الفاضلة، إلا أن

أحداث الرواية لا تنم عن ذلك، وتشي بكثير من متناقضات وعيوب المجتمع هناك، وكأن الكاتب قصد إلى ذلك قصدًا محاولة منه أن يصطدم القارئ بتلك المغايرة التي تقع بين العنوان والمضمون، أو ربما أراد للمجتمع المصري أن يصبح كالمدينة الفاضلة رغم ما يقع به من مشكلات وقضايا متنوعة، "وإذا كانت اليوتوبيا **Utopia** أو المدينة الفاضلة مجتمعًا أمثل تخيليًا تحلم بعالم قد حلت فيه المشاكل الحقيقية على أرض الواع الاجتماعية منها والسياسية والاقتصادية، فإن الديستوبيا، أو المدينة الفاسدة هي عالم تخيلي يتحول فيه هذا الحلم إلى كابوس" [٣]. وهذا يعني أن هذه الرواية تنتمي إلى أدب الديستوبيا بما يقدمه فيها الكاتب من أحداث وشخوص تعكس تلك الصراعات والمشكلات التي يعج بها المجتمع المصري في هذه الفترة.

والكاتب ينطلق داخل روايته من رؤية متعمقة لأحوال الواقع داخل المجتمع، والتغلغل داخل نفسيات شخوصه وتصوير صراعاتهم، ومن ثم يعبر هذا المصطلح (الواقع) عن: أحوال الأشخاص داخل المجتمع وما يحيط بهم ويؤثر فيهم، ويؤثرون فيه. وينطبق ذلك على شخوص رواية يوتوبيا، حيث أثرت رؤية الواقع – لدى الكاتب – على رسم سماتها، وكذلك كيفية بنائها، للوصول إلى هذا التصور النهائي الذي تبينه الدراسة للشخصيات، والذي من خلاله جعل الواقع هو المحرك الرئيس للشخصيات والمتحكم في أسلوبها وحركتها.

وقد تناولت بعض الدراسات السابقة لهذه الدراسة رواية يوتوبيا بالشرح والتحليل خلال حديثها عن أدب الديستوبيا، ولكنها لم تتوقف عند رؤية الواقع وأثرها على بناء الشخصيات داخل الرواية، ولعل أبرز هذه

الدراسات: الرواية الديستوبية المصرية(مظاهرها ولغتها)، د/ أسماء إبراهيم حسن، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات، دمنهور، العدد الخامس، الجزء الثالث، ٢٠٢٠م. وكذلك دراسة الصحفية: نور كريم الطائي (تعرية الهامش، الذات العربية في رواية يوتوبيا لأحمد خالد توفيق) مقال منشور على شبكة الإنترنت على موقع مركز النور للدراسات.

- المبحث الأول: الشخصية الروائية مفهومها وأنواعها:

حظي مفهوم الشخصية الروائية باهتمام كبير لدى الأدباء والنقاد، يرجع ذلك إلى دورها الرئيس داخل العمل الروائي، فبدونها لا يمكن تحريك الأحداث، أو العمل في الزمان والمكان، ولذلك وجد نقاد القرن التاسع عشر أن العمل الروائي ما هو إلا رصد لملامح الشخصية، وتعبير عنها، فهي الفاعلة في كل عناصر الرواية، والمحركة لها، ولا يمكن أن نتصور قصة أو رواية بدون شخصيات، ولذلك عدها كل من أدوين موير، وفورستر، وإيان داوت، ورالف فوكس، وبيرسي لوبوك وغيرهم الكثير، العنصر الأبرز الذي يعتمد عليه بناء الرواية، "فيرى رالف فوكس بأن وظيفة الرواية الرئيسة هي الاهتمام بخلق الشخصيات، كما يرى إيان وات أن قدرة الرواية على خلق عوالم الشخصية وتحديد معالمها وكذلك محيطها المرتبط بها إنما هي الأهمية الأولى التي يجب أن تقف عندها، وتتحدد وظيفة كاتب الرواية في تجسيمه لعالم الشخصيات المتنوع، وإضفاء الخصوصية عليهم، بينما ترى فيرجينيا وولف أن الدافع من وراء الكتابة الروائية إنما هو محاولة خلق شخوص متنوعة، في حين يذهب أرنولد بينيت إلى أن نقطة ارتكاز العمل الروائي إنما تتمثل في الشخصيات لا غيرها" (٤). ومن ثم فالشخصية الروائية تمثل أبرز عناصر الرواية، وأكثرها حيوية وقدرة على التأثير في العمل الروائي.

وقد كانت الشخصية تعني قديمًا ذلك القناع الذي يلبسه الممثلون على خشبة المسرح، حتى لا يعرفهم أحد أثناء تأدية أدوارهم المسرحية، ذلك لأنهم كانوا يرون بأن الإنسان لا يحمل إلا شخصية واحدة، وبالتالي لا يمكن أن يؤدي بها أكثر من دور، وما لبث أن استعار كتاب القصة والرواية هذا

المصطلح ليعبروا به عن الشخصية التي تحرك أحداث الرواية؛ حيث "صارت كلمة (Person) تعني مصطلحًا أدبيًا بمعنى (القناع الأدبي)، أي صار في النقد يدل على الذات الفاعلة ضمن العمل الأدبي، فتتخذ هذه الذات أوجه متعددة" [٥]. وبهذا صار مفهوم الشخصية مرتبطًا بالرواية ومقابلاً لمفهومها القديم في المسرح.

وإذا كانت الشخصية الروائية جزءًا من العمل الروائي، فلا بد أن تشارك في صنع الأحداث، وإلا فإننا لا يمكن أن نعدها كذلك، فإذا كان (فورستر) يرى أنها عبارة عن بعض الكلمات التي يمنحها الروائي اسمًا وصفة ودورًا فاعلاً سواء أنها كانت تحاكي الحقيقة أم الخيال، فإنها في النهاية لا بد أن يسند إليها دور المشاركة، "فالشخصية هي كل مشارك في أحداث الرواية سلبًا أو إيجابًا، أما من لا يشارك في الحدث فلا ينتمي إلى الشخصيات، بل يكون جزءًا من الوصف، والشخصية عنصر مخترع مصنوع ككل عناصر الحكاية، فهي تتكون من مجموع الكلام الذي يصفها ويصور أفعالها، وينقل أفكارها وأقوالها، وليست الشخصية شخصًا، ولا وجود لها خارج عالم الرواية" [٦]. ومن هنا تكتسب الشخصيات داخل الرواية ذلك الدور الإنساني الحياتي الذي يمنحه لها الكاتب، لا سيما إذا اقتربت كثيرًا من الواقع وقامت بتصويره، وعبرت كذلك عن قضاياه ومشكلاته المتنوعة، هنا تكون الشخصية أقرب إلى الحقيقة، بل قد تصل إلى نقل شخصية الكاتب نفسه، وكأنه يحكي لنا عن سيرته الذاتية.

وإذا كانت الشخصية الروائية تبدو واقعية في كثير من الأحيان، إلا أنها تبقى في النهاية عنصرًا خياليًا من صنع الكاتب يستطيع أن يضفي عليها ما يريد من مظاهر وسمات حسب ميوله وآرائه الشخصية، فإذا كان الروائي

"يقدم لنا حوادث شبيهة بالحوادث اليومية مسبغًا عليها أكثر ما يستطاع من مظاهر الحقيقة مما قد يصل إلى حد الخداع" (٧). فإنه يلجأ إلى ذلك من أجل إيهام القارئ بأنه يطالع عالمًا حقيقيًا لا مصنوعًا مرتبطًا بما حوله من أشياء وموجودات، وهذا ما دفع أصحاب الاتجاه البنيوي في القرن العشرين إلى أن ينادوا بأن الشخصية الروائية لا تعدو إلا أن تكون كائنًا من ورق.

وترجع تلك النظرة الواقعية للشخصيات إلى العصور القديمة التي كانت تهتم بالموضوع والأحداث على حساب الشخصيات، فما كانت وظيفة الرواية إلا تقديم ما يدور داخل المجتمع من أحداث متنوعة، ومن ثم تأتي الشخصيات في مجملها تابعة لهذه الأحداث، تتحرك بحركتها، وتدور في فلكها، دون الاهتمام الكبير بميولها وسماتها، وما تحمله من صراعات إنسانية متنوعة، وقد وجدت هذه النظرة منذ أرسطو الذي اعتبر أن الشخصية الروائية إنما تأتي خادمة للأحداث، ولذلك تأتي في المرتبة الثانية من حيث الأهمية، وعليه فإن شخوص الرواية في الغالب تصطبغ بالصبغة الواقعية حتى تستطيع أن تعكس الواقع الذي تمثله. وهذه الهيمنة التي لاقتها الأحداث ظلت مسيطرة على فكر كتاب الرواية حتى أواخر القرن التاسع عشر؛ حيث بدأت الدراسات المتعددة التي تهتم بدراسة الإنسان من الناحية النفسية والاجتماعية وغيرهما، "ويثور بين النقاد منذ مطلع القرن التاسع عشر جدل كبير حول السمو الذي يخص به أرسطو الحبكة دون الشخصية الفاعلة الرئيسة بوصفها الجانب الحركي الفاعل في الرواية" (٨). ومن ثم بدأ النقاد منذ ذلك الحين إعادة النظر تجاه عنصر الشخصية الروائية، والاهتمام به، وكذلك أسبقيته وأفضليته على عنصر الحدث لأنه بدونها – الشخصيات –

لا يمكنه تحريك الأحداث، بل أصبحت وظيفة الرواية من وجهة نظرهم هي تقديم الأشخاص.

وإذا كانت الرواية قديمًا تهتم بتقديم أحداث الواقع وتصوره، فقد أصبحت بعد الاهتمام بالعنصر الإنساني داخل المجتمع تهتم برصد وتقديم الشخصيات الفاعلة والمؤثرة في المجتمع، ومن ثم بدأت تظهر فكرة البطل في الروايات التقليدية، بل وتسيطر على بنائها وتشكيلها، وتسارع الكتاب في رسم ملامح هذا البطل وصفاته وفاعليته داخل الرواية؛ حيث "كان الكتاب والنقاد في الرواية التقليدية يرون أن الشخصية لا بد أن تعامل على أساس أنها كائن حقيقي له وجود ملموس داخل عالم الرواية، ومن ثم كانوا يقومون بتصوير أهوائها وصفاتها وملامحها وهواجسها وكل ما يتصل بها، وكانوا يرون أن لها الجزء الأكبر في العمل الروائي الذي يقدمه الكاتب"[٩].وذلك مقابل تراجع عناصر الرواية الأخرى من أحداث ومكان وزمان وغيرها، حيث تقف هذه العناصر جميعًا لخدمة الشخصية. ومن ثم حاول الكتاب الاهتمام بشخصياتهم عبر ربطها بالواقع أو قل إن صح التعبير مطابقتها قدر الإمكان بالشخصيات الحقيقية داخل المجتمع، "فالتقليديون يرون أن الشخصية الروائية بمثابة كائن حي، وينظرون إلى الحدث الروائي بكونه نتاجًا لحركة الشخصية، وكأنه جنس من التاريخ أو ضرب منه، ويعني ذلك أن الرواية لا تخلو من مجانسة المجتمع أو مطابقته، وأن الشخصية صورة دقيقة أو قريبة الدقة من حقيقة المجتمع وواقعه"[١٠]. ومن هذا المنطلق اهتم الكتاب بتقديم نماذج بشرية روائية أكثر من اهتماهم بتقديم أحداث ووقائع؛ لأنهم يرون أن هذه النماذج إنما هي تعبير وانعكاس صادق لواقع المجتمع، فقد ظهرت فكرة البطل في مقابل تراجع فكرة الأحداث المؤثرة أو الخارقة،

على أنهم بالرغم من ذلك حاولوا كثيرًا في رسمهم لسمات هذا البطل أن يكون مطابقًا للواقع بشكل كبير.

وإذا كانت المطابقة بين خيال الكاتب وواقع المجتمع في رسم ملامح البطل كانت مطلبًا ملحًا لدى كتاب القرن التاسع عشر، فإن كتاب القرن العشرين نادوا بالتقليل من مكانة الشخصية داخل الرواية، ذلك أنها لا يمكن أن تتطابق مع الواقع تطابقًا حقيقيًا، ولا يمكن أن تمثله تمثيلاً تامًا، بل هي في النهاية عمل من صنع الكاتب وخياله، ولا بد له أن يتدخل في رسم جميع ملامحها وصفاتها، ويضفي عليها ما يراه هو مناسبًا لدورها داخل العمل، لا لما يفرضه عليها المجتمع، وقد زاد الأمر على ذلك لدى أصحاب الاتجاه البنيوي الذين نادوا بأن الشخصية داخل العمل الروائي إنما تتوقف أهميتها فقط على الدور الوظيفي الذي يرسمه لها الكاتب "فالشخصيات الروائية ليست كائنات حقيقية، بل هي كائنات من ورق" (١١). وقد استطاعت هذه النظرة أن تحد مرة أخرى من مكانة الشخصية في مقابل عناصر الرواية الأخرى، أو على الأقل الحد من تلك الأهمية الكبيرة التي لاقتها من قبل لتتساوى مع بقية العناصر الأخرى.

ومهما يكن من أمر تفوق الشخصية على الحدث أو العكس يبقى عنصر الشخصية ذا دور مهم داخل العمل الروائي. وعليه يعتمد الكاتب كثيرًا في وضع أفكاره وبثها داخل الأحداث. ومن ثم يمكننا تعريف الشخصية الروائية بأنها ذلك العنصر المتخيل من قبل الكاتب، والذي يضفي عليه حركة وحضورًا، ويقوم من خلاله بتجسيد الأحداث ورصد الزمان والمكان، وتحديد الحوار، وهذا العنصر يعبر عن وجهة نظر الكاتب وميوله، وكذلك مخيلته حتى وإن تطابق ذلك مع الواقع الحقيقي.

وتنقسم الشخصية داخل العمل الروائي إلى قسمين، الأول يشير إلى دورها داخل الأحداث، فتوصف حينها بأنها رئيسة أو ثانوية، والثاني حسب تفاعلها وتطورها مع الأحداث، فتوصف بأنها نامية أو مسطحة، أما الشخصية الرئيسة فهي التي يمنحها الكاتب حضورًا خاصًا واهتمامًا مغايرًا مقارنة ببقية الشخصيات الأخرى؛ لأنه يحملها الجزء الأكبر من التعبير عن الأحداث، وكذلك نقل رؤيته الخاصة، كما أنها تسيطر على مسار الحكاية، وتقوم بتوجيهها، فالشخصية الرئيسة تتبوأ المكانة الأولى بين شخوص العمل الروائي؛ "نظرًا لخطورة الدور الذي تؤديه، أو لكونها تحمل الرؤية الأساسية، أو لأنها تعبر عما يريد الكاتب التعبير عنه، إلى غير ذلك مما يجعل وجودها حيويًا" (١٢). ولذلك تتسم الشخصية الرئيسة بقوة حضورها وتفاعلها الحيوي والمستمر مع الأحداث، وبقدر هذا التفاعل يستطيع الكاتب أن يطور من حبكته وصراعه، وتقديم أحداثه.

أما الشخصية الثانوية فهي التي تأتي في المرتبة الثانية من حيث الأهمية، ويأتي حضورها في الغالب باهتًا وضعيفًا، كما أن الكاتب لا يوليها القدر الكافي من الاهتمام، وإن بدت بعض الشخصيات الثانوية ذات أهمية كبيرة داخل بعض الأعمال الروائية، ربما لا تقل أهمية عن غيرها.

وهي مع ذلك تقوم بدور حيوي داخل الأحداث؛ حيث تساعد الشخصية الرئيسة في القيام بدورها على أكمل وجه، وبدونها لا يمكن أن تكتمل تلك الأحداث الجانبية التي تحيط بالبطل، وكما يقول روجر ب. هنكل: "إننا نحن القراء نفقد الكثير عندما نغفل الدور المعقد الخصب لتلك الشخصيات في الكشف عن معنى الرواية ورؤيتها الخاصة" (١٣). ولذلك فالشخصيات الثانوية تعمل على وجود توازن ملحوظ داخل العمل الروائي، كما أن حركيتها

وحضورها يضفيان حضورًا مقابلاً للشخصية الرئيسة، ولذلك يرى الدكتور محمد علي سلامة أن "الشخصية الثانوية لها أهميتها الكبيرة داخل الرواية، والكاتب البارع هو من يهتم بهذا النوع من الشخصيات اهتمامه بالشخصيات الرئيسة؛ حتى يستطيع إحداث توازن داخل عمله" (١٤). هذا التوازن يرجع إلى تلك الأدوار الفرعية المتعددة التي تؤديها هذه الشخصيات.

ويقسم النقاد الشخصية كذلك إلى نامية ومسطحة، وذلك كما قام به فورستر في كتابه أركان الرواية؛ حيث وجد بأن الشخصية النامية هي التي "تتطور باستمرار مع تفاعل الأحداث سواء كان هذا التفاعل ظاهرًا أو خفيًا، وتعرف كذلك بأنها مغلقة لأنها تتصف بعلاقتها المتشاركة المعقدة " (١٥). وهذا النوع من الشخصيات يطلق دائمًا على الشخصيات المحورية داخل الرواية، ولكنه قد يطلق كذلك على بعض الشخصيات الثانوية التي يأتي حضورها قويًا ومؤثرًا، كما أنها تتطور كذلك بتطور الحدث.

والشخصية النامية لا بد أن تستحوذ على اهتمام الكاتب، وتأخذ جل تركيزه؛ ذلك أنه مشغول دائمًا بتطويرها ونموها، وجعلها ممثلة لمركزية القصة، وفاعلة في أحداثها. بينما تقف الشخصية المسطحة عند حدود الوصف البسيط، والدور الثانوي المطلوب منها، ولذلك لا تتطور ولا تتقدم مع الأحداث، وإن حدث ذلك يكون تطورها هامشيًا بسيطًا قد يغفله القارئ، ومن ثم فهي تحمل سماتٍ وأوصافًا محددة على طول الرواية، وقد تختفي بعد مدة محددة من السرد، ولذلك لا يوليها الكاتب أهمية كبيرة بالقدر الذي تحتله الشخصيات النامية، "وينظر إلى الشخصية حسب عمقها السيكولوجي فيلاحظ أن الفرق بين الشخصيات المعقدة ذات الأبعاد المتعددة والمسطحة هو معيار يؤدي إلى الحكم عليها بأنها عميقة وإما سطحية، والأولى تقنعنا،

وينتج منها تصوير الجانب الدرامي المحتدم في الحياة، أما الثانية فتكون بسيطة ضحلة" [١٦]، وفي الغالب تتقابل كل من الشخصية النامية والمسطحة مع الشخصية الرئيسة والثانوية داخل العمل الروائي، وإن لم يكن ذلك حكمًا مطلقًا في كثير من الأحيان.

وبعد، فإن الشخصيات من أبرز العناصر التي يمكن للروائي الاعتماد عليها في تقديم عمله، فهي التي تبعث الحضور للحكاية، وتقوم بتمثيل الأحداث وتحريكها، وتنقل لنا الواقع بواقعيتها، وهي متفاوتة فيما بينها من حيث الأهمية والدور الذي تؤديه، وهذا التفاوت هو الذي يمكن الكاتب من تسليط الضوء على عنصر معين دون غيره من أجل توجيه رؤية الكاتب نحوه.

- المبحث الثاني: أثر الشخصية في عرض عناصر الرواية:

يتوقف بناء الرواية على عدة عناصر متآلفة مترابطة لعل من أبرزها الشخصيات والزمان والمكان واللغة والحوار، وهذه العناصر جميعها تدور في فلك واحد ألا وهو الأحداث، من أجل توصيل وجهة نظر الكاتب التي يريد طرحها، وتقف الشخصيات في المقام الأول تجاه ذلك؛ لأنها تمثل العنصر الرئيس الذي تدور حوله بقية العناصر الأخرى.

وترتبط الشخصية بالحدث من خلال تقديمها إياه، فهي التي تستوعب الأحداث، وتقوم بصوغها وإنتاجها، وهي كذلك المتحكمة فيها وفي حركيتها، كما أن الكاتب يستطيع أن يضفي أبعادًا إنسانية متعددة على أحداثه من خلال حركة الشخصيات، ولذلك فإن هناك علاقة متشابكة بين الشخصية والحدث؛ فهما وجهان لعملة واحدة؛ "حيث يجمع النقاد والكتاب على أن الشخصية والحدث مرتبطان ببعضهما البعض، وتجمعهما علاقة جدلية تقوم على فكرة التأثير والتأثر، وكأن الحدث (فعل) والشخصية عبارة عن فاعل" (١٧). وهذه العلاقة الجدلية تجلت في آراء النقاد واهتماماتهم المتباينة للشخصية على حساب الحدث أو العكس منذ أرسطو حتى عصرنا هذا.

وترتبط الشخصية كذلك بالمكان من خلال ذلك الإطار المكاني الذي تدور في فلكه الشخوص، فلا بد للشخصية حتى يتسنى للكاتب أن يقدم ملامحها وسماتها أن ترتبط بمكان محدد، وهذا المكان يعكس في الغالب كثيرًا من طبيعتها، وهناك علاقة تأثير وتأثر بين الشخصية والمكان، حتى وإن كان المكان غير متناسب مع طبيعة الشخصية وسماتها، "فالمكان بالرغم من أهميته بالنسبة للرواية إلا أنه لا يتبلور ولا يتشكل إلا من خلال الشخصيات التي تشغله وتصنع الأحداث، وتكشف عن أثر المكان بها وأثرها

في هذا المكان" [١٨]. ويستطيع الزمن كذلك ربط الشخوص بالأحداث عن طريق تتابع هذه الأحداث وتطورها، فلا يمكننا رصد ملامح الشخصية عبر مراحلها المختلفة إلا من خلال الزمن، كما أننا من خلاله نستطيع أن نتعرف سماتها في مرحلة سابقة أو تالية من الحدث القائم، وبذلك يمكن القول إنه لا يمكن تخيل شخصية دون ربطها بعنصري الزمان والمكان.

والشخصية كذلك تقوم بصنع اللغة وتقديم الحوار، وهي التي تتحكم في طبيعة هذه اللغة حسب ظروفها ومقامها، والدور الذي تؤديه.

وفي النهاية، فإن للشخصيات تأثيرها الجلي في بقية عناصر الرواية الأخرى، ولا يمكن لأي كاتب أن يستغني عنها في تقديم عمله، فلا يوجد عمل روائي بدونها.

- المبحث الثالث: رؤية الواقع والثنائيات الضدية للشخصية في رواية يوتوبيا:

تتجلى فكرة الثنائيات الضدية لدى الكاتب في محاولته تقديم شيء ما ونقيضه في نفس الوقت، فهو يقدم في عمله الخير والشر، أو الغنى والفقر، أو غيرها الكثير من الثنائيات، وهذه الفكرة تعمل – كما يذكر النقاد– على إثراء النص، وجعله أقرب ما يكون من الحقيقة والواقع، "فتولد الثنائيات الضدية فضاءً مائزًا للنص؛ إذ تجتمع جملة علاقات زمانية ومكانية وفعلية بأزمنة مختلفة، فتلتقي هذه العلاقات على أكثر من محور، تلتقي وتتصادم وتتقاطع وتتوازى فتغني النص، وتعدد إمكانات الدلالة فيه ... ووفرة الثنائيات في النص دليل انسجام إيقاعه" (١٩).

ويقدم الكاتب أحمد خالد توفيق في روايته يوتوبيا رؤية خاصة للمجتمع المصري، تعتمد في مجملها على الثنائيات الضدية، حيث تقدم الرواية لصورة مجتمعين متناقضين متشابكين في آن واحد، **الأول:** مجتمع الطبقة الأرستقراطية أصحاب الغنى الفاحش، الذين يعيشون في مكان معزول خاص بهم في الساحل الشمالي تحرسهم بعض قوات المارينز والطائرات العسكرية، وقد ضربوا حول هذا المكان سورًا كبيرًا حماية لهم ممن يطلقون عليهم الأغيار.

وهذه المدينة أطلق عليها الكاتب اسم (يوتوبيا) بمعنى المدينة الفاضلة كما كان يتصورها الكاتب الإنجليزي (توماس مور) عام ١٥١٦م متأثرًا بآراء أفلاطون؛ "فكل أشكال اليوتوبيات تطرح أسئلة: فهي تسأل إن كان يمكن تحسين الطريقة التي نحيا بها، وتجيب بأنه يمكن ذلك، ويقارن أغلبها بين الحياة الحالية والحياة في اليوتوبيات، وتوضح أوجه الخطأ في الطريقة التي

نحيا بها الآن، ولذلك نقترح ما ينبغي القيام به لتحسين الأوضاع" [٢٠]. وقد أشار أحمد خالد توفيق إلى أن شخوص هذه المدينة يعدون أنفسهم يعيشون حياة مثالية لا تقارن بما يحياه الفقراء (الأغيار) في المجتمعات الأخرى، فهم يملكون كل شيء المال والشهرة والسلطة والنشوة والغريزة، وجميعهم يحتكرون التجارة والسوق في مصر جميعها، فلا يمكن لأحد أن يبيع زجاجة دواء واحدة في مصر دون الرجوع إلى ملك الدواء (مراد بك) أحد سكان هذه المدينة، وكذلك بقية المنتجات الأخرى.

والسكان اليوتوبيون لديهم الصلاحيات لفعل أي شيء في هذه الحياة، لا يمنعهم من ذلك شيء، فهم دائمو شرب المخدرات، والإقبال على النشوة، وكذلك اللذة الجنسية والمغامرة، وحتى الذهاب إلى الحج رغم ما يقومون بفعله، وعلى ذلك فهم يشعرون دائمًا بالملل المستمر الذي يدفعهم في كثير من الأوقات بالتفكير في (صيد الأغيار) عن طريق القيام بقتلهم، وتقطيع أجزائهم، لعل ذلك يدفع الملل عنهم، كما يخلصهم كذلك من تلك الطبقة التي يرون أنه ليس لها حق في هذه الحياة "برغم أن الصيد غير قانوني في يوتوبيا، فإن الكبار كانوا يتجاهلونه ما دمنا لا نكشف عنه علنًا، وهو شعار يوتوبيا العام: افعل ما تريد طالما لم تعتدِ على مال باقي سكان يوتوبيا .. والأهم افعل ما تريد لكن أبقه سرًا حتى لا تضع على عاتقنا عبء أن نبقى حازمين ... لكننا نحن الشباب صرنا نعتبر الصيد نوعًا من الرجولة" [٢١].

وواقع يوتوبيا داخل الرواية هو خليط من رجال الأعمال المصريين وغيرهم من الأمريكان والإسرائيليين يعيشون جميعهم في تآلف تام، وتجمعهم المصلحة، والبعد عن مجتمعات الفقراء، وهم هناك محميون دائمًا من أي تسلل خارجي، ولديهم كل ما يريدون من متع الحياة "يوتوبيا المستعمرة

المنعزلة التي كونها الأثرياء على الساحل الشمالي ليحموا أنفسهم من بحر الفقر الغاضب بالخارج، والتي صارت تحوي كل شيء يريدونه، يمكنك أن ترى معي معالمها ... البوابات العملاقة ... السلك المكهرب ... دوريات الحراسة" [٢٢]. ومع كل هذه المميزات التي يتمتعون بها إلا أن حياتهم دائمة الملل، ولا يجدون فيها لذة أو راحة، ربما لأنهم قد جربوا كل شيء في هذه الحياة كما يحكي بطل الرواية، فعادةً حياتهم ينقصها الشغف والبحث عن المجهول.

أما عن **الواقع الآخر** (المغاير) فيشير إليه الكاتب بمدينة (شبرا) تلك البلدة التي تضم الأغيار، وهي في وجهة نظرهم – اليوتوبيين– لا يجب أن تظل موجودة، بل يجب أن يموت كل من فيها؛ لأنهم لا يمثلون إلا وجه الحياة البائس الفقير، فلا حق لهم في الحياة، ولا يتمتعون بمبادئ أو مميزات تجعلهم يستحقون هذا العمل.

وينقل لنا الكاتب صورًا متعددة من حال الشخصيات التي تعيش داخل هذه المدينة، ولعل أصدق تعبير يحاول به الكاتب أن ينقل صورتهم هو أكلهم للكلاب من قلة ما يجدون من قوت يومهم، بل أصبحت الكلاب عندهم قليلة الوجود من كثرة أكلهم لها، كما أن الأمراض تحاوطهم من كل مكان، ولكنهم رغم ذلك لا يبالون، ويحيون حياة بائسة يملؤها الصراع والقتل والسرقة والنهب. ومن ثم فهم في نظر أصحاب المدينة الفاضلة بلا شرف أو ثمن يذكر، وفكرة قتلهم أو صيدهم فكرة صائبة تمامًا؛ لأنهم لا يستحقون هذه الحياة؛ "شبرا ... هكذا يطلقون عليها ... الخلاصة التي توصلت لها بعد دقيقة في هذا العالم هو أن هؤلاء القوم يتظاهرون بأنهم أحياء، يتظاهرون بأنهم يأكلون لحمًا، ويتظاهرون بأنهم يشربون خمرًا، وبالطبع يتظاهرون

بأنهم ثملوا، وأنهم نسوا مشاكلهم، يتظاهرون بأن لهم الحق في الخطيئة والزلل ... يتظاهرون بأنهم بشر ... الآن أفهم لماذا عزلنا أنفسنا في يوتوبيا"(٢٣). وهذه الأوصاف يقدم لها الكاتب بعض التقارير الصحفية والتقارير التي تصدر عن جهات حكومية مختلفة من أجل دعم فكرته، أو ربما جعل هذه الأحداث أكثر واقعية في ذهن المتلقي بالرغم من أن الكاتب في مستهل روايته ذكر أن هذه الأحداث خيالية ولا علاقة لها بالواقع. "والرواية بطبعها تستقي مادتها الخام من الواقع لتحوله إلى متخيل يثري شغف وتأثير الآخرين، فالمتخيل هو مستودع لتخزين الصور الخيالية، فالدال بكونه الملموس هو الواقع، في حين أن المتخيل هو مدلول، أي الصورة الذهنية، لهذا يصعب بل يستحيل الفصل بينهما"(٢٤).

وتتجلى فكرة الثنائيات الضدية داخل هذه الرواية في تفاصيلها وعناصرها كافة، فمن حيث الأحداث يقارن الكاتب بين طبقتين متباينتين، وما يدور لهما داخل المجتمع، ومن حيث الشخصيات فهو يقارن بين شخصيات أرستقراطية تتمتع بثراء فاحش، وبين شخصيات يملؤها الفقر والبؤس والجوع والمرض، ومن حيث المكان يقارن بين مدينة يوتوبيا التي يراها أهلها مدينة فاضلة، وبين مدينة شبرا ذلك المكان الشعبي، وحتى في اعتماد الكاتب على اللغة تتجلى تلك الثنائيات الضدية في طريقة الحوار، وأسلوب كلام الشخصيات، وحتى في نوعية الألفاظ التي يتكلم بها أصحاب كل طبقة.

وعلاء وهو الشخصية المحورية داخل الرواية يمثل طبقة الأغنياء، وتدور حوله معظم أحداث الرواية في نصفها الأول؛ حيث إنه يريد أن يكسر ملل الحياة في مدينة يوتوبيا الذي اعتاد عليه يوميًا، ومن ثم يفكر في رحلة

صيد خارج أسوار هذه المدينة، وهذا الصيد لم يكن حيوانًا أو طيرًا، وإنما هو صيد رجل أو امرأة من المجتمعات الأخرى الفقيرة، والذين يطلقون عليهم الأغيار. أما **جابر** فيمثل البطولة الثانية في هذه الرواية، ويشير من خلاله الكاتب إلى الطبقات الفقيرة البائسة تحديدًا في مدينة شبرا، ورغم مساعداته المستمرة لعلاء عندما أمسك به أهل شبرا وحاولوا قتله، إلا أنه في النهاية يلاقي حتفه على يد من ساعده كثيرًا – جابر– ولم يكتفِ علاء بذلك، بل قام بقطع جزء من جسده، واحتفظ به ليريه أصدقاءه في مدينة يوتوبيا؛ لأن ذلك يمثل لديهم شجاعة وبطولة، وكأن الكاتب من خلال تقديمه لهذه الأحداث يريد أن يبين طغيان الطبقات الأرستقراطية وإصرارهم على الاحتفاظ بتلك النظرة الدونية تجاه الفقراء رغم ما يحدث داخل المجتمع المصري من تحولات مختلفة.

وبينما كان الفقراء في مدينة شبرا يعانون الفقر والمرض والجهل، حظي سكان مدينة يوتوبيا بأنواع جديدة من الملذات، وحتى في الثقافة والإمكانات، فالكاتب تحدث عن ظهور مخدر جديد لم يكن يعرف من قبل يسمى (الفلوجستين)، وهو يختلف تمامًا عن كل أنواع المخدرات الأخرى، ولا يمكن أن يحصل عليه سوى أهل مدينة يوتوبيا بسبب سعره الباهظ، كما تحدث الكاتب كذلك عن (البايرول)، وهو نوع جديد من البترول تتحكم فيه أمريكا، واستطاعت من خلاله أن تستغني عن بترول الخليج، وهذا النوع من الوقود يصل إلى أهل مدينة يوتوبيا لوحدهم دون غيرهم، كما أن هذه المدينة لها (جريدتها) الخاصة بها، وأهل هذه المدينة بجانب تلك المميزات المتعددة فهم يحتكرون كذلك السوق المصري جميعه. لا سيما هذا النوع الجديد من الطاقة الذي يجعل أمريكا، وهذه المجتمعات المتقدمة في غنى وسطوة دائمين،

ولذلك نرى الكاتب يصور أهمية هذا المصدر على لسان (مايك رودجرز) أحد شخصيات الرواية، وهو قائد رجال الأمن في مدينة يوتوبيا، وهو رجل أمريكي، وذلك عندما دار بينه وبين علاء حوار حول الشرق الأوسط وعلاقته بأمريكا: "معلوماتي أنكم هزمتم في العراق.

- ضحك كثيرًا ثم استجمع أنفاسه وقال:
- أنت تتكلم مثل الأوربيين ... بدأنا الحرب للإطاحة بالطاغية والسيطرة على النفط، وتحويل ذلك البلد الغني إلى أشلاء، حسن فعلنا هذا كله، فهل يوجد اسم آخر للنصر؟
- هل كان النفط بهذه الأهمية؟
- كان ... كم من حروب خضناها بسببه، ثم ظهر البايرول فجأة من سماء صافية .. ذلك الكيمياء الأمريكي، الذي توصل له عام ٢٠١٠م نال جائزة نوبل، هنا فقط أمكننا أن ننسى الشرق الأوسط، وأن نخرج ألسنتنا لشيوخ البترول" (٢٥). ومن أحداث الرواية يحاول الكاتب باستمرار الكشف عن تلك الازدواجية التي سوف يواجهها المجتمع المصري بين طبقاته في المستقبل إن لم يتنبه الجميع لذلك، ويحاولون وضع الحلول والمقترحات التي تدني بين الطبقتين.

ومن خلال الرؤية المحدقة المستشرفة لأحوال المجتمع المصري والعربي قدم الكاتب أحداث روايته معتمدًا فيها على نقد الواقع وكشفه عبر تلك الثنائية الضدية التي تجلت بشكل كبير في شخوص روايته، فهو كثير الاهتمام بهذه الشخوص؛ حيث يقدم لها أوصافًا مادية ونفسية واجتماعية على طول روايته، وهو دائم المقارنة بين شخوص مدينة يوتوبيا وشخوص

المجتمعات الفقيرة كالعتبة وباب الشعرية وشبرا التي أولاها أهمية كبيرة داخل روايته لاسيما الشخصيات الرئيسة في روايته، فعندما يقدم لنا راوي قصته (علاء)، وهو الشخصية الرئيسة داخل الرواية بالاشتراك مع جابر يقول: "كنت في هذه اللحظة قد بلغت قمة التقزز والذهول، أتذكر يوتوبيا وبيتي والدولارات التي أبعثرها، أتذكر الشلة والفلوجستين الذي أتحرق شوقًا له، أتذكر كلبي الذي يلتهم ما يشبع خمسة من هؤلاء يوميًا، لست مستعدًا للحظة للتخلي عن هذا كله، لكني كذلك لا أبتلع فكرة وجود كل هذا الفقر ... الآن أفهم هذه الأسوار العالية ورجال المارينز والمطار الداخلي"(٢٦). فالكاتب يبين في هذا النص السابق وجهة نظر (علاء) تجاه مجتمع الأغيار، وكذلك يكشف عن طبيعة الحياة التي يعيشها في يوتوبيا مقارنة بهذه الحياة التي يشاهدها أمام عينيه مباشرة في مدينة شبرا. والكاتب في كل جزء من أجزاء روايته يؤكد كثيرًا على التفاصيل: تفاصيل الحياة، وتفاصيل الشخصية، وكأنه ينقل لنا صورة حية عن حياة واقعية بالفعل، وهو في كل ذلك يعقد المقارنات باستمرار بين الأشخاص هنا والأشخاص هناك، ليبين تلك المسافة الشاسعة التي وقعت بين طبقات المجتمع، وهذه الحياة يعكسها الكاتب في شخوص روايته بشكل كبير لا سيما شخصيته الرئيسة (علاء):

"أصحو من النوم .. أفرغ مثانتي .. أشرب القهوة .. أحلق ذقني .. أعالج الجرح في جبهتي ليبدو مريعًا .. أضاجع الخادمة الإفريقية .. أتناول الإفطار .. أصب اللبن على البيض، وأمزق كل هذا بالشوكة .. ألقي بالخيط المقزز في القمامة .. أتثاءب .. أضحك .. أبصق .. أدس إصبعي في حلقي .. أخرج أنبوب الفلوجستين .. أصب قطرات على جلدي .. أنتشي .. ساعة واحدة فعلت فيها كل شيء، ولم يبق شيء في الحياة يهمني أو

أريده" [٢٧]. لعل الكاتب في هذا النص يبين طبيعة تلك الحياة التي يعيشها أشخاص يوتوبيا فهم جميعًا يشبهون علاء في حياته، حياة مترفة يقدم له فيها كل شيء، ولكنها في نفس الوقت حياة مملة رتيبة، أو على حد قول أحد شخوص الرواية إنه عندما يتاح لك كل شيء في هذه الحياة فإنك تفقد لذتها.

وعندما ينتقل الكاتب إلى الشخصية الرئيسة الثانية في هذه الرواية (جابر) فإنه يعكس من خلاله صورة الفقر والمرض والبؤس الذي يعيش فيه أصحاب تلك المجتمعات الأخرى خارج يوتوبيا، فهو يمثلهم تمامًا ويعكس أحوالهم حتى إن الكاتب عندما جعله يقتل في النهاية على يد ذلك الشاب الغني علاء، كأنما يريد أن يقول إن مصير هؤلاء الفقراء جميعًا سوف ينتهي إلى ما انتهى إليه مصير جابر، ويؤكد هذا ذلك المصير الذي نقله لنا الكاتب في آخر صفحة من روايته عن هؤلاء الفقراء عندما قاموا بثورة ضد الأغنياء، وحاولوا اقتحام سور يوتوبيا، ولكن مصيرهم كان القتل "انتزعت البندقية الآلية من يد جندي المارينز الواقف جواري، وصوبتها نحو كتلة البشر القادمة في الأفق ... لم أفطن إلى أنني لم أجرب هذا من قبل، ولم تفت من شجاعتي الضربة القوية التي تلقيتها في ساعدي لدى الارتداد، هكذا رحت أطلق النار .. أطلق النار .. أطلق النار" [٢٨].

وجابر رغم أنه مثقف وذكي إلا أن آثار الفقر والمرض تظهر عليه وعلى شقيقته كذلك. وهو يدرك في قرارة نفسه – رغم تمسكه بالحياة– أن الحياة قد أصبحت مستحيلة، لاسيما بعد فقد إحدى عينيه، وبحثه الدائم عن طعام وعلاج له ولأخته صفية التي أصابها المرض، ولا يجد لها علاجًا، "فقط أذكر أن الأمور كانت تسوء بلا انقطاع .. وفي كل مرة كان الفارق

بين الوضع أمس واليوم طفيفًا، لذا يغمض المرء عينيه كل ليلة وهو يغمغم: أهي عيشة .. ما زالت الحياة ممكنة، ما زال بوسعك أن تجد الطعام والمأوى وبعض العلاج .. إذن فليكن غدًا .. ثم تصحو ذات يوم لتدرك أن الحياة مستحيلة" (٢٩). ومن خلال تتبع شخصية جابر داخل الرواية يدرك المتلقي تمامًا ما تعانيه تلك الطبقات الفقيرة، فهم يعيشون في أماكن لا تصلح للعيش أساسًا، ويقضون أيامهم المتبقية ما بين (العشش) التي بنى معظمها بأبسط الأدوات، حتى الطرق والشوارع أصبحت خربة غير آدمية، وأما (المترو) الذي أنشأته الحكومة منذ ما يقرب من خمسين سنة أصبح خاويًا إلا من بعض العربات التي صدئت مع توقفها بمرور الوقت، أما عن طعامهم فينقل لنا (جابر) صورة عنه بأنهم لم يعدوا يجدون الكلاب في الشوارع؛ لأن الناس يذبحونها للطعام "في يوتوبيا لا يأكلون الكلاب .. يربونها للتدليل والحراسة .. كنا مثلهم يومًا ما، ثم تعلمنا أنها مصدر رخيص للبروتين، لو حدثت الثورة يومًا ما فلسوف نبدأ بالتهام كلابهم المدللة الثمينة كلها" (٣٠). ونتيجة هذا الوضع المأسوي أصبح معظم الناس داخل هذه المجتمعات بلا أخلاق، وهم دائمًا – رغم ظروفهم الصعبة– يبحثون عن متعتهم العقلية والجنسية عن طريق المخدرات والجنس، ولم يعد الحب يجد له مكانًا بينهم، فقد أصبحت الحياة قاسية.

وإذا كانت الثنائيات الضدية التي صنعها الكاتب داخل روايته تجلت بشكل كبير في شخوصه الرئيسة (علاء × جابر)، فقد ظهرت بشكل جلي كذلك بين الشخصيات الثانوية لاسيما بين (جرمينال) فتاة اليوتوبيا، وبين (صفية) أخت جابر، تلك الفتاة الفقيرة المريضة، فالأولى تشير إلى الحياة في مدينة يوتوبيا، فهي تتمتع بكل أنواع اللهو والترف، وهي صديقة علاء

تنتشي معه في جلسات الشراب والمتعة، وهي أقرب الفتيات إليه، ورغم ذلك لا تربطهما علاقة رسمية، ولكنهم يرون أن ذلك من الأشياء المباحة في يوتوبيا؛ "سوزان، كاتي، مايا، جرمينال ... لكني أفضل الأخيرة لسبب لا أدريه ... ليس الحب طبعًا ... مثيرة جنسيًا؟ ربما، لكني لم أعد أعرف إن كانت الفتاة مثيرة أم لا؛ لأنهن يتشابهن في كل شيء"(٣١). وهذه الفتاة مثلها مثل كل سكان يوتوبيا يحقدون على الأغيار ويكرهونهم، ويحاولون دائمًا الخلاص منهم عبر تجارب الصيد، التي يقومون بها، ولذلك فهي تشترك مع علاء في تجربة الصيد التي تحكيها الرواية، وتذهب معه إلى مدينة شبرا، حتى تكتشف ذلك العالم الآخر الذي تسمع عنه من أقرانها وأصدقائها.

وتشير (صفية) أخت جابر كذلك إلى طبيعة الواقع الذي يحياه الفقرء، وتأتي في دور الشخصية الثانوية الثانية بعد جرمينال، حيث يمنحها الكاتب حضورًا متميزًا عن بقية الشخصيات الثانوية الأخرى، وإن كانت هذه الشخصية لا تتطور كثيرًا مع الأحداث أو تتفاعل معها بقدر تطور ونمو شخصية (جرمينال)، إلا أنها في النهاية – صفية – تعكس صورة الفقر والمرض لجميع سكان تلك المجتمعات الفقيرة لا سيما شبرا، فمنذ أن أصيبت بداء السل لم يستطع أخوها جابر أن يجد لها علاجًا، كما أن شكلها– وإن كانت جميلة– وملامح ثيابها يعبران بصورة صادقة عن طبيعة حياتها "سمعنا حركة، ودخلت الخوخ فتاة في العقد الثاني من العمر، يبدو أنها مليحة، وإن كانت قزارة أسمالها تخفي أي حسن ... القذارة جعلت ثوبها صلبًا لا يرف ولا يهتز كأنه من جلد مدبوغ ... نظرة الحيوان الخجول الوجل المتواري في الدغل تبدت في عينيها عندما رأتنا" (٣٢).

وربما جعل الكاتب هذه الشخصية– صفية– تختلف إلى حد كبير عن باقي شخصيات ذلك المجتمع الفقير، فلم يصبها منه سوى الفقر والمرض، لكنها لا زالت عذراء نقية، ولكن الكاتب في نهاية الرواية يضع لها نفس المصير الذي تلاقيه الفتيات في مجتمعها، إما البغاء أو الاغتصاب، حيث قام (علاء) ابن يوتوبيا باغتصابها رغم أن أخاها جابر كان يحافظ عليها كثيرًا، ويعدها الجانب النقي الوحيد في حياته، وكأن الكاتب يريد أن يقول بأن ظروف المجتمع هي ما تصنع مصير الفرد، لا سيما في مجتمعاتنا.

وبعقد موازنة بسيطة بين شخصية جرمينال وشخصية صفية تتجلى لنا تلك الضدية الثنائية بوضوح، ثنائية تعكس بدورها صورة الواقع الذي يراه الكاتب؛ حيث هناك الغنى الفاحش في يوتوبيا، والفقر المدقع في مدينة شبرا.

- المبحث الرابع: رؤية الواقع وأساليب رسم الشخصية:

اعتمد أحمد خالد توفيق بعض الأساليب في تقديم شخوص روايته ما بين الوصف، أو الحوار، أو تقديم الأسماء والألقاب للشخصيات، وذلك على النحو التالي:

أولاً- الوصف:

١- الوصف الاجتماعي:

لعل أكثر الأساليب التي اعتمد عليها الكاتب في تقديم شخوص روايته هو الوصف، لاسيما الوصف الاجتماعي، الذي يربط الشخصية بواقعها الذي حدده لها الكاتب، وكما يرى د. محمد غنيمي هلال أن: "الروائي إذا أراد أن يمنح شخصيات روايته الحياة، فعليه ألا يعتمد على الجانب الفردي الإنساني في تقديمه لهم، بل لا بد أن يربط ذلك بالبيئة والمجتمع" (٣٣). ولا غرابة في أن يستحوذ الوصف الاجتماعي على الجزء الأكبر من اهتمام الكاتب داخل رواية يوتوبيا؛ لأن هذه الرواية – كما ذكرنا من قبل- تهتم بنقد الواقع، والبحث في مشكلاته المتعددة. وقد جاء الوصف الاجتماعي للشخصيات متقطعًا متتابعًا على طول الرواية، فلم يقدم الكاتب وصفه لشخصية معينة جملة واحدة، بل جعلها تبرز وتظهر أكثر وأكثر بتطور ونمو الأحداث، فشخصية (علاء) الشخصية المحورية في الرواية يقدم لها الكاتب من أول ورقة في الرواية حتى نهايتها، وهو في كل مرة يؤكد على فكرة الثراء والتنعم والملل مثله مثل باقي سكان مدينة يوتوبيا، فعلاء شاب من أسرة ثرية جدًا في يوتوبيا، فأبوه (مراد بك) ملك الدواء، حيث يسيطر على سوق الدواء في مصر، وهذا الشاب يعيش حياة مترفة لدرجة أنه يفعل كل شيء في يومه، ويجرب كل أنواع المتع والملذات، ثم يجلس بعد ذلك

ليبحث عن الجديد الذي يكسر له مله من هذه الحياة التي يراها تتكرر دون لذة حقيقية.

وهذا الشاب رغم ذلك هو مثقف لدرجة كبيرة، فقد قرأ معظم الكتب التي وجدها في مكتبات مدينة يوتوبيا، لاسيما مكتبة (سالم بيه) صديق والده، وربما منحه الكاتب هذه الصفة لأنه الراوي الرئيس للأحداث بالاشتراك مع جابر، الذي يقوم أيضًا برواية أجزاء كبيرة من الأحداث لا سيما النصف الثاني من الرواية، وربما قصد الكاتب ذلك ليجعل هذا البطل يجمع ما بين الرؤية الفنية والرؤية الشخصية؛ فهو مثقف من الناحية الشخصية، وراوٍ عارف بأحداث الرواية من الناحية الفنية، وهو بجانب معرفته فإنه يسرد لنا الأحداث بصيغة الراوي المشارك، أو ما يطلق عليه د. حميد الحميداني (الرؤية من الخلف)؛ "حيث يكون الراوي مشاركًا في الأحداث ومدركًا بما يدور في ذهن الأبطال، حتى إنه يستطيع معرفة رغباتهم وميولهم الداخلية"(٣٤). فالكاتب هنا يعتمد على طريقة السرد الذاتي، التي يكون فيها السارد ليس مشاركًا في الأحداث فقط، وإنما عارفًا بكل تفاصيل الشخوص داخل الرواية.

وفي رواية يوتوبيا جعل الكاتب (المكان) نقطة الانطلاق التي يبدأ منها السارد حكايته، فهو يبدأ روايته بالحديث عن تلك المدينة ذات الطابع الخاص، "ويعتبر المكان نقطة الانطلاق الأولى بالنسبة للسارد الروائي، فمن خلاله يستمد مادته الروائية أو موضوعه الفني الذي يحرك خياله الفني، كما يحدد طبيعة استخدامه للضمير الملائم لذلك المكان، سواء أكان الضمير ذاتيًا أو موضوعيًا" (٣٥). فبطل الرواية هنا هو الراوي الذي يسرد لنا جميع

الأحداث، وهو على معرفة كبيرة بجميع شخصيات الرواية، وهو يقدم من آن لآخر أوصافًا متعددة لهم.

والشخصية المحورية (علاء) يرتبط اجتماعيًا بأبعاد الواقع الذي يعيش فيه، فقد نشأ على الترف واللهو والحقد، حقد الأغيار الذين يراهم لا يستحقون الحياة "ماذا بوسعك أن تفعل في هذه الجنة الصناعية؟ .. تنام .. تتعاطى المخدرات .. تأكل حتى يزهق الطعام أنفاسك .. تقيء حتى تتمكن من معاودة لذة الأكل ... لو كنت تعرف طريقة أخرى يمارس بها المرء حياته فلسوف يسعدني أن تقولها" (٣٦). هذه الحياة المملة هي ما دفعت الشخصية المحورية في الرواية للتفكير في تجربة الصيد (صيد الأغيار) التي يراها الشيء الوحيد الذي يمكن أن يجد فيه لذة ومتعة بعد تلك الحياة التي يشبهها في يوتوبيا بحياة معسكرات الاعتقال.

وإذا كان (علاء) قدم لنفسه أوصافًا اجتماعية متعددة تصف لنا حياته وحياة الناس داخل يوتوبيا، لا سيما في بداية الرواية، فقد قامت الشخصية المحورية الثانية (جابر) بتقديم بعض الأوصاف الاجتماعية له (علاء) كذلك "لكن الفتى ليس بونابرت ... تبًا ... إنه مجرد حيوان شهواني من يوتوبيا لا يملك أي قدر من الهيبة .. المشكلة أن يكون قد خلق حاجزًا نفسيًا من العبودية داخلي، المشكلة أن أقتنع أنا نفسي بأنه أفضل وأروع وأكمل وربما أتقى" (٣٧). وهذه الأوصاف المتعددة على طول الرواية يحاول الكاتب – باستمرار – من خلالها أن يطلع المتلقي على تأثير ذلك المجتمع الثري على من يعيشون بداخله، وكيف يتحول هذا التأثير الاجتماعي إلى تأثير أيديولوجي متغلغل في صميم الفرد ووجدانه.

وتحتل الشخصية المحورية الثانية (جابر) المرتبة الثانية من الوصف في اهتمام الكاتب، فتارة يأتي وصف هذه الشخصية اجتماعيًا على لسان (علاء)، وتارة يقدم أوصافًا لنفسه وحياته ومجتمعه، وجابر ابن المجتمع الذي يعيش فيه؛ فهو فقير معدم لا يجد ما يمكن أن يتقوت به هو وأخته المريضة، وإن وجد ذلك فإنما يكون عن طريق البلطجة والنصب والشجار الذي لا ينتهي، ولعل ما قدمه الكاتب على لسان علاء من وصف للمكان الذي يعيش فيه جابر، يمثل صورة حية عن حياته الاجتماعية التي يعيشها؛ "الآن نخرج من منطقة السوق هذه كي نتوغل بين مجموعة من العشش الصفيح، الأرض مبتلة تغوص فيها قدماك، مزيج من الوحل وبقايا الغسيل والمجاري الطافحة، أمشي في حذر؛ لأن التعثر هنا نوع من الانتحار ... على أبواب العشش تقف نساء قذرات بشعات المنظر" [٣٨]. وهذه الأوصاف المتعددة على طول الرواية تعكس الناحية الاجتماعية لحياة جابر ومن يعيشون في هذه الأماكن الشعبية.

ويمثل جابر الشخصية المحورية الثانية في الرواية، والتي حاول الكاتب من خلالها أن يجعلها رمزًا لهذه الطبقات الفقيرة، ولعل ظهوره بدايةً من منتصف الرواية مع أصدقائه عبد الظاهر ومتولي وسليمان عندما قاموا بالتشاجر مع شلة بيومي على ذلك (الكلب) الذي يعدونه أكلة شهية، ينقل للمتلقي تلك الصورة التي تعيشها هذه الشخصية، ثم إنه قد فقد (قرنيته) في أحد المشاجرات بسبب بعض الفتيات بينه وبين المعلم السرجاني، ولا ينفك أبدًا من الشجار وجلسات المخدرات وغيرها رغم أنه فتى مثقف يختلف عن باقي أقرانه، ولذلك هو دائم التفكير والتأمل في حاله وحال من حوله. "هو من طبقة التلامذة، إنهم هؤلاء الذين دخلوا كليات أو جامعات منذ عشر

سنوات، ثم لم يجدوا عملاً، ولم يستطيعوا أن يصنعوا شيئًا بما تعلموه، لكن علاقتهم بالكتب لا تنتهي منذ عشرين سنة، لم تعد لأحد فرصة على الإطلاق" (٣٩). ورغم هذه الثقافة وهذا التعليم فإن مصيره كمصير باقي أفراد مجتمعه، لا يعرف أي منهم هل أكل أو نام أو حتى مات على حد تعبير الكاتب.

وعندما ننتقل إلى الوصف الاجتماعي للشخوص الثانوية في هذه الرواية، فإن الكاتب يهتم بتقديم أوصاف لها ربما تتساوي في الأهمية والمكانة مع شخصياته المحورية، لا سيما عندما يتحدث على لسان الراوي عن شخصية كل من جرمينال وصفية، فالأولى فتاة مدللة من يوتوبيا، وهي صديقة علاء تتعاطى معه المخدرات، وتخوض معه تجربة الصيد في شبرا، وهي تحمل كذلك ثقافة المجتمع الذي تعيش فيه، فهي تكره الفقراء، وتحقد عليهم كذلك، وهي تبحث كذلك عن المتعة واللذة وكسر الملل الذي يشعر به معظم سكان يوتوبيا؛ "اشرت لجرمينال كي تقترب، كانت شاحبة قليلاً بعد جراحة الكحت والتفريغ التي أجرتها الأسبوع الماضي للمرة الثالثة للخلاص من ابن جديد لي، وكانت في حالة انسجام تامة، فلا بد أنها تغوص وسط النيران الخضر" (٤٠). وفي هذا النص السابق يعكس الكاتب صورة مبسطة لطبيعة الحياة التي تعيشها هذه الفتاة في يوتوبيا. ورغم خوضها لتجربة الصيد في شبرا، ووقوعها هي وصديقها في يد جابر، وإحساسها بالهلاك والموت، إلا أنها تعود سالمة مرة أخرى إلى مدينتها، ولكن لم يكن كل ما حدث لها يجعلها تغير من وجهة نظرها نحو الفقراء الذين تراهم لا يستحقون سوى الموت، رغم أنهم حافظوا عليها منه.

أما عن صفية فهي الشخصية الثانوية الأكثر حضورًا بعد جرمينال داخل الرواية، وهي تعكس كذلك بيئتها ومجتمعها، حتى إن مرض السل قد تغلب عليها منذ زمن، ولم تستطع أن تجد له علاجًا بسبب فقرها، وهي رغم ذلك تمثل الوجهة النقية لمثيلاتها من الفتيات في مجتمعها، فبرغم مرضها، وفقرها، وعيشتها البسيطة، إلا أنها استطاعت أن تحافظ على نفسها من آثام هذا المجتمع، لعل أبرز ما يظهر على ملامحها الخارجية ذلك الفقر والجوع، الذي تركه المجتمع عليها، ويبدو ذلك في وصف الراوي لها: "ثم تثاءبت كثور، وأغمضت عينها، رحت أرقبها وأنا جالس، مليحة بلا شك، لكن كيف يمكن أن تجد هذه الملاحة تحت كل هذه الخشونة والقذارة؟ أن تزيل كل هذه الأعوام من المعاناة والفقر والجوع" (٤١).

ويقدم الكاتب كذلك أوصافًا اجتماعية مرتبطة بشخوصه الثانوية الأخرى داخل الرواية كـ (مايك رودجرز) الجندي الأمريكي الذي يقوم بالحراسة في يوتوبيا، وكيف أنه يؤمن بأن الشرق الأوسط لم يعد ذا أهمية لدى أمريكا بسبب ظهور البايرول، وكذلك أصدقاء علاء (راسم، وشادي، وريدي، وماهي) الذين يطاردون بسياراتهم الفارهة من حين لآخر بعض الفقراء الذين يعملون في يوتوبيا، ويقومون بقتلهم والتسلي بهم، وكذلك حمزاوي بك الذي لديه جيش من الشابات الحسناوات اللاتي يعملن في منزله، ومراد بك والد علاء، وهو ملك الدواء، ويصفه الراوي بالشذوذ رغم أنه يستطيع أن يتزوج بما يريد من الفتيات، وجميع هذه الشخصيات عبر ما يقدمه لها الكاتب من أوصاف اجتماعية تعبر عن حقيقة المجتمع الأرستقراطي في يوتوبيا.

تأتي كذلك الشخصيات الثانوية الأخرى في الرواية عبد الظاهر ومتولي وسليمان وبيومي، وعزة وسمية والسرجاني ... إلخ، ليعبروا عن حقيقة

حياتهم، وكيف أن المجتمع هو الذي فرض عليهم هذه الحياة القاسية، فمع كل وصف يقدمه الكاتب تظهر لنا ملامح تلك الشخصية، ومدى تأثير المجتمع فيها، فعلى سبيل المثال عندما يتحدث عن سمية التي هي أقبح أقرانها من الفتيات، يصورها بأنها تحولت إلى البغاء بسبب عمها الذي فرض عليها ذلك من أجل الحصول على لقمة العيش؛ "ذوقه رديء جدًا ... (سمية) أقبح الفتيات هنا، وهي أقرب إلى ذكر مكتمل الرجولة، دعك من أن عمها السرجاني ذاته ... لم يكن بلطجيًا ... إنه قواد، صحيح أن جسده يوحي بالمهنة الأولى، لكن دعني أؤكد لك أنه قواد، بضاعته الوحيدة هي سمية"(٤٢). وتشير جميع الشخصيات الثانوية التي وردت في النصف الثاني من الرواية إلى طبيعة تلك الحياة التي رسمها الكاتب لها عبر وصفه إياها.

٢ – الوصف النفسي:

يرتبط الوصف النفسي للشخصيات إلى درجة كبيرة بالوصف الاجتماعي، ذلك أن المجتمع له تأثير كبير على تشكيل فكر وثقافة الشخصية، ويعد الوصف النفسي من أنواع الوصف الداخلية التي يعتمد عليها الكاتب؛ إذ يركز فيها على ميول الشخصية ورغباتها وسماتها المتعددة، وفي رواية يوتوبيا يكثر الكاتب من تقديم هذا النوع من الوصف لشخوصه، فنراه عند حديثه عن شخصيته المحورية (علاء) يصفه بالشاب المثقف تارة، والمنحرف أخلاقيًا تارة، والمغامر تارة أخرى، كما أن شخصيته يسيطر عليها الضياع والملل، فهو لا يجد لذة تذكر في هذه الحياة، كما أنه يؤمن ببعض المعتقدات التي تترسخ في نفسه يومًا بعد يوم لعل من أبرزها عدم القدرة على الإصلاح في هذا الواقع المرير، كما أنه يؤمن بفكرة البقاء للأغنى، ولذلك لا حق للفقراء في العيش "ففي سني الصغيرة نسبيًا كونت

قناعة لا بأس بها هي أنه لا جديد تحت الشمس، ولا يوجد شيء واحد يمكن تعلمه بعد هنا ... هناك خلل اجتماعي أدى إلى ما نحن فيه، لكنه خلل يجب أن يستمر، كل من يحاول الإصلاح يجازف بأن نفقد كل شيء ... عاشرت كل فتاة راقت لي، وجربت كل أنواع الفلوجستين" (٤٣).

ولعل الواقع الذي رسمه الكاتب للمجتمع اليوتوبي داخل روايته ظهر تأثيره واضحًا على شخصية (علاء)، وعلى ثقافته وميوله، حتى إنه عندما أراد أن يقرأ الجرائد لم يجد سوى تلك الجريدة التي تصدرها هذه المدينة، والخاصة بها فقط دون غيرها، ولذلك نشأ وعيه على الفصل بين الأغنياء ومجتمع الأغيار الفقراء، ولا بد لأي شخص أن يتعامل في حدود هذا الفصل بمعنى حق الحياة للطرف الأول، وسلبها من الطرف الثاني.

أما جابر، فيكثر الكاتب من تقديم الأوصاف النفسية المتعددة له على طول الرواية، لعل من أبرزها شعوره الدائم والمستمر بالفقر والضياع، وضياع المستقبل، وإذا كان الأغنياء في يوتوبيا يعانون فقط من الملل، فإن جابر ومن يشترك معه من الفقراء في مجتمعه يعانون من ثنائية ظلم الواقع وما به من مشكلات متعددة، وكذلك من كره الأغنياء لهم، ولذلك تبرز الناحية النفسية لشخصية جابر من خلال حديثه عن نفسه قائلاً: "فقط في سن العشرين أدركت الحقيقة القاسية، وهي أن علي أن أحيا بلا أحلام ... لن يكون هناك شيء يا صاحبي، لا اليوم ولا غدًا، ولا بعد يوم، حياتك حاضر طويل، ماذا تنتظر؟ لا شيء" (٤٤).

إن الواقع في هذه الرواية يفرض نفسه كثيرًا على رسم ملامح شخوصه، ولم يتوقف الأمر لدى الكاتب عند الشخصيات المحورية فقط، بل أثر كذلك على بقية الشخصيات داخل الرواية، فعندما يتحدث – على سبيل المثال–

عن صفية وشخصيتها عندما اقتربت من جرمينال وأحست ذلك الفرق الكبير بينهما في الشكل والملبس والهيئة، "ظلت صفية بضع دقائق تنظر، ثم مدت يدها في حذر إلى شعر جرمينال، وراحت تتلمس خصلة منه، ثمة شيء حيواني غريب في تلك اللمسة لم أرها من قبل إلا مع قرد مد يده ذات مرة يتحسس أناملي في وجل وفضول عندما كنت في حديقة حيواننا" (٤٥). فتأثير المجتمع هنا قد صنع تلك العقدة النفسية التي ظهرت على صفية عندما رأت جرمينال، إنها عقدة الغنى والمال.

٣- الوصف المادي:

اهتم أحمد خالد توفيق بتقديم بعض الأوصاف المادية لشخوص روايته، لاسيما شخصياته الرئيسة، هذه الأوصاف تتصل بالشكل والمظهر والملبس، وكذلك مظاهر الحياة والمجتمع المرتبطين بالشخصية، فعندما يقدم لنا شخصيته المحورية (علاء)، فإنه يأخذ قرابة الثلاث صفحات في بداية الرواية يقدم للمتلقي فيها ما يدل على تلك الشخصية من خلال ذلك الوصف المادي، حيث يقول الكاتب على لسان راويه (علاء): "أقف أمام المرآة، أتأكد من أن شعري حليق بطريقة هنود الموهيكان الشهيرة، أصلع على جانبي الرأس، والخصلة البنفسجية العالية في المنتصف ... الصدر عارٍ إلا من عدة قلائد عملاقة، هناك جماجم وأيقونات من سحر الفودو .... الوشم كذلك غريب، إنه يروق للفتيات هنا .... أتأكد من أن الجرح على جبيني مفتوح" (٤٦). وما يقدمه الكاتب من أوصاف متعددة له علاقة وثيقة بذلك الواقع الذي تعيش فيه شخصيته المحورية، فهو يحاول أن يقلد تلك النزعات الغربية في الملبس، وفي قصة شعره، وكذلك في ارتدائه بعض القلائد الغربية حتى يبدو كأنه في مجتمع أكثر تحضرًا يتساوق مع مجتمع يوتوبيا الذي يسكن فيه،

كما أن فكرة الجرح الصناعي الذي أجراه له طبيبه يحاول من خلالها أن يجذب إليه الفتيات؛ لأن هذا الجرح يمنحه بعضًا من المغامرة والرجولة كما يذكر.

لقد أكثر الكاتب من تقديم الكثير من الأوصاف المادية لشخصيته المحورية (علاء) ربما أنه يعكس صورة صادقة لمجتمع الأغنياء، وكأن الكاتب يريد أن يقول بأن جميع سكان يوتوبيا يشبهون تلك الشخصية، لا في أفكارهم فقط، وإنما في شكلهم وعاداتهم كذلك.

أما الشخصية المحورية الثانية (جابر) فالكاتب يقدم له كذلك أوصافًا مادية تتساوق مع طبيعة الحياة التي يعيشها؛ حيث يبدو عليه الفقر والجوع والمرض، ويحاول الكاتب من خلاله أن ينقل للمتلقي صورة أولئك الذين يعيشون في تلك المجتمعات الفقيرة المعدمة "للمرة الأولى أتمكن من تفحص ملامح هذا المنقذ ... كان في الثلاثين من عمره نحيلاً ، منكوش الشعر، تبدو عليه بوضوح سمات سوء التغذية، لكنه قوي البنيان كالذئاب، وعلى أنفه نظارة تم لحامها بالنار ألف مرة، ومن تحتها وجه امتلأ بالخياطة كأنه وجه المسخ في أفلام (فرانكنشتاين)، لاحظت كذلك أن له قرنية ذابت وتحولت إلى عجينة بيضاء" (٤٧). والكاتب في كل مرة يتحدث فيها عن جابر يربط ذلك الواقع الذي يعيشه، فهو وإن كان قوي البنيان إلا أن الجوع والمرض قد جعلاه ضعيفًا، وإن كان مثقفًا متعلمًا إلا أن المجتمع جعله ضائعًا لا يحمل حلمًا أو مستقبلاً.

كذلك مع بقية شخوص الرواية يربط الكاتب دائمًا بين تأثير الواقع ووصفه لشخوصه، فـ (صفية) فتاة فقيرة مريضة يبدو على وجهها آثار الفقر، وكذلك ملابسها، أما جرمينال فهي فتاة تبدو عليها مظاهر الترف

والثراء، وسمية فتاة بغاء، لكن ملامحها قبيحة تشبه الرجال، وحتى تلك الشخصيات التي تبدو أنها مهمشة تمامًا في الرواية، فهي تظهر مرة واحدة فقط أو مرتين، فإن الكاتب كذلك يقدم لها بعض الأوصاف، "في هذه اللحظة، اقترب منا رجل رث الهيئة، له لحية غير حليقة، وإن كانت ثيابه توحي بأنها زي رسمي غير معتنى به" (٤٨). ففي هذا الوصف يتحدث الكاتب عن شخصية لم تظهر في الرواية إلا مرة واحدة، لكنه في نفس الوقت اهتم بتقديم بعض الأوصاف المادية لها.

[٢] الحوار:

يكشف الحوار داخل العمل الروائي عن حدود الشخصيات وتفاصيلها من الداخل والخارج، فهو يصور أسلوبها وصراعها وميولها ورؤيتها لنفسها وللشخصيات الأخرى، ولذلك يعد تقانة مهمة لا يستغني عنها الروائي داخل عمله، حيث يعمل على إبراز تفاصيل الشخصية أمام المتلقي بشكل واضح، وذلك عن طريق ما تقوم بعرضه في حديثها مع الشخصيات الأخرى، أو خلال حديثها الداخلي مع نفسها، "ولا يخفى ما للحوار – إن جاء ملائمًا لمستوى الشخصية ونابعًا من ذاتها – من أثر مساعد في كشف أبعادها وسبر أغوار عالمها الداخلي، وإيضاح ماضيها، وبيان ميولها وطريقة تفكيرها، وعمق وعيها" (٤٩). فالحوار يكشف دائمًا عن رؤية الكاتب تجاه شخوصه، من خلال تلك الحرية التي يمنحها لها في التعبير عن نفسها، ولذلك يعد الحوار وسيلة أسرع من الوصف للدخول إلى عالم الشخصيات الروائية؛ لأن المتلقي يدخل إلى حدود الشخصية بشكل مباشر؛ "فهو صفة من الصفات العقلية لا تنفصل عن الشخصية بوجه من الوجوه، ولهذا كان

من أهم الوسائل التي يعتمد عليها الكاتب في رسم الشخصيات"[٥٠]. وهو يأتي داخل العمل الروائي على نوعين إما حوار داخلي أو خارجي كما يلي:

أ- الحوار الخارجي (الديالوج):

وهو الحوار الذي يقع بين شخصين أو أكثر داخل الرواية، ويكشف فيه الكاتب – من خلال الآراء المتبادلة في الحوار- عن رؤية الشخصية ورغباتها، وقد كشف هذا النوع من الحوار داخل رواية يوتوبيا – بشكل كبير- عن صراع طبقات المجتمع، فالكاتب اهتم بصورة كبيرة بعرض آراء كل طبقة خلال حديث شخصياته، لا سيما بين شخصيتيه المحوريتين علاء وجابر:

"لماذا لا تتركوننا وشأننا؟ سرقتم منا الماضي والحاضر والمستقبل، لكنكم تكرهون أن تتركونا نعيش ....

وقبل أن أفهم من أين جاء ولا متى، وجدت نصل سيف عملاق تحت ذقني ... ومن بين أسنانه الصفر قال:

- هل ترى أن آخذ منك تذكارًا كما تفعلون معنا؟ " [٥١].

ففي هذا الحوار الذي يدور بين علاء وجابر يوضح الكاتب صراع الشخصيات الداخلي، وما يحمله كل واحد تجاه الآخر من أفكار ورؤى متعددة، فعلاء يعد هؤلاء الفقراء في منزلة وضيعة، ولذلك لا يهتم إن هم ماتوا أو جاعوا، بينما جابر يملؤه الحقد والكره لهؤلاء الأغنياء الذين يعيشون في عالمهم الخاص، ونلاحظ في هذا الحوار السابق أن الكاتب يتدخل بالسرد معلقًا على حوار الشخصيات من خلال راويه (علاء)، وهو يفعل ذلك

بصورة متعددة على طول روايته؛ حيث لا يترك شخوصه في حالة مواجهة مباشرة دائمًا، وإنما يتدخل في معظم الأحوال معلقًا على حديثهم.

ويعمد الكاتب دائمًا إلى مزج السرد مع الحوار حتى يقدم للمتلقي رؤية أوضح لشخوصه وأحداثه، ويعرف ذلك بالحوار غير المباشر:

"شكرًا على إنقاذنا.

قال وهو يزيح بعض المهملات ليسمح لنا بالجلوس.

- اسمي جابر، لا شكر على واجب، أكره القتل على الجانبين، برغم أنكما جئتما طبعًا للفوز بتذكار فريد، أنتما من يوتوبيا طبعًا.
- لا لسنا من....
- نظر لي في حدة بعينيه التي تحولت إلى عجين، وقال:
- لا تحاول خداعي ... كلنا يعرف ما يفعله اللصوص" (٥٢).

فمن خلال هذا الحوار السابق يوضح الكاتب رؤية الشخصيات تجاه بعضها البعض، فالشخصية المحورية (جابر) يعرف جيدًا ما يقوم به أهل يوتوبيا تجاههم، كما أنه يعرفهم جيدًا حتى بدون معرفة مسبقة لهم، وهذه المعرفة تغلب عليها دائمًا رؤية الواقع التي يحاول الكاتب دائمًا بثها من خلال شخوص روايته.

ب-الحوار الداخلي (المونولوج):

اعتمد الكاتب في روايته على الراوي المشارك الذي يسرد الأحداث، ويشارك فيها كذلك، بل إن معظم أحداث الرواية ترتبط بهذا الراوي، الذي يأتي داخل الرواية بدور الشخصية المحورية، ولذلك تظهر الرواية كأنها

كتبت بطريقة المونولوج الداخلي الذي يتحدث فيه الراوي عن نفسه، وصراعاتها المختلفة مع الشخصيات الأخرى.

والكاتب يتوقف كثيرًا داخل روايته عند المونولوج المباشر المرتبط بشخصية معينة لينقل لنا ما تضمره أو قل- إن صح التعبير- ما تريد أن تبوح به، حتى تظهر بصورة أوضح أمام المتلقي، فنراه عند حديثه عن (جابر) مثلاً يقول:

"سأموت خلال يومين أو ثلاثة، تسألني: كيف عرفت ذلك؟ أقول لك: إنه لا فرصة للنجاة أمامي، أنا ولدت خاسرًا، ولوسف يظفر بي الفتى القادم من يوتوبيا، لا محالة، لهذا أتذكر ... لهذا أمرر مذاق حياتي على لساني كما يمرر المرء مذاق النبيذ المر بعدما فرغت الزجاجة"(٥٣). فالكاتب عبر هذا المونولوج الداخلي يكشف عن صراع شخصيته، وما تشعر به من هلاك بسبب ظروف الواقع الذي نعيشه، ونلاحظ أن هذا المونولوج أشبه ما يكون بحوار خارجي بين شخصيتين، لكنه في الحقيقة يرد داخل سياقه كمونولوج، حيث يخاطب فيه البطل ذاته لحظة تذكر أحواله، وعيشته التي يحياها. وما يعكسه الحوار الداخلي من صراع داخلي للشخصية وتصوير عالمها بالنسبة لجابر، فإنه ينطبق كذلك على بقية شخوص الرواية؛ حيث يقفز الكاتب بأفكار الشخصية إلى السطح، فتظهر ملامحها، فنراه على سبيل المثال عندما يصور كبرياء (عادل)، ورفضه فكرة أن الأغيار قد قاموا بثورة ضد من يسكنون في يوتوبيا، نراه يقول على لسان راويه: "ما أتوقعه من أبي – لو كان حقًا أبي- هو أن يغضب ولا يخاف، يحتقر ولا يرتجف، يغتاظ ولا يقلق، يشتم ولا يلوم، الرحيل؟ الشتات؟ هذا لن يكون، هذه أرضي وهذا عالمي ... ولدت هنا، لو كان أبي قد سرق هذه الحقوق فهي قد صارت لي

بحكم الوراثة، ولن أتخلى عنها من أجل أمثال (جابر) والمتسولين" [٥٤]. فهذا المونولوج الداخلي عبر خلاله الكاتب عن رفض علاء لفكرة الانهزام أمام الفقراء، وتقبله تلك الصورة التي تجعل هؤلاء الفقراء هم أصحاب الحقوق هذه المرة، وهم من يقومون بالانتقام والقتل والثأر.

ثالثًا: تسمية الشخصية:

يعمد الكاتب دائمًا داخل عمله الروائي إلى اختيار أسماء مناسبة لشخصياته، فلا يأتي اختياره لها اعتباطًا، وإنما متوافق مع دورها الذي تؤديه: "ففي الرواية لا ترد الأسماء اعتباطًا، وإنما يكون لها دلالة محددة يقصدها الكاتب، ذلك أن التسمية جزء مهم من تكوين الشخصية"[٥٥].

وتتعدد أنواع التسميات بالنسبة للشخصية، فقد تأتي التسمية المباشرة العلمية التي تنطبق مع مدلول الشخصية، وقد يختار الكاتب التسمية الاجتماعية أو الوراثية أو حتى المهنية، ولكنها ترتبط جميعًا بعمل الشخصية ودورها داخل الرواية، "فأسماء الشخصية داخل العمل الروائي إنما تتحدد بناء على عدة أنساق جسدية أو وراثية أو دينية أو مهنية، وقد تأتي التسمية لترتبط بالملامح الجسدية" [٥٦]. وقد تنوعت تسميات الشخصية في رواية يوتوبيا على النحو التالي:

أ- الاسم العلم:

لعل أكثر التسميات التي وردت داخل الرواية هي الاسم العلم، وقد جاء متناسبًا بصورة كبيرة مع طبيعة الشخصية داخل الرواية، كما أن للواقع دورًا كبيرًا في اختيار الكاتب لاسم الشخصية حيث جعله متناسبًا مع طبيعة مجتمعها، والظروف التي تعيشها بشكل كبير، فعندما ننظر إلى الشخصية

الرئيسة (علاء)، نجد أن هذا الاسم يدل في المعاجم العربية على (الرفعة والشرف)، وهذه التسمية تتناسب بشكل كبير مع شخصية علاء داخل الرواية، فهو من عائلة غنية جدًا، وكذلك من أهل يوتوبيا أصحاب الثراء، بل هم من يملكون زمام الأمور داخل البلد، كما أنه دائمًا يشعر بالتعالي والتكبر تجاه مجتمعات الأغيار الفقيرة، بل يحقد عليهم؛ لأنه يراهم دائمًا في منزلة أقل منه بكثير، ولذلك تساوق هذا الاسم مع طبيعة ودور الشخصية داخل الرواية.

كذلك الشخصية المحورية الثانية (جابر)، فهذا الاسم هو اسم فاعل من الفعل (جبر)، بمعنى إصلاح الكسر، ورغم أن هذه الشخصية لم تستطع أن تصلح كسرها الذي ظلت تشعر به على طول الرواية، إلا أنه تناسب معها بشكل كبير؛ لأن جابر كان يحاول دائمًا أن يبحث عن الأفضل لحياته ولأخته، وهو يصر على ذلك كثيرًا، كما أنه عندما ظفر بعلاء وجرمينال اللذين حاولا قتل أحد من الفقراء، لم يبادلهم ذلك الفعل، ولكنه عفا عنهما، كما أن ذلك الاسم (جابر) يرتبط كثيرا بالمجتمعات الفقيرة أو الشعبية، أو قل – إن صح التعبير – شائع التسمية في تلك المجتمعات.

وتؤثر ظروف المجتمع كذلك في اختيار أسماء الشخصية إذا ما عقدنا مقارنة بين جرمينال ولارين، وكاتي وسوزان ومايا من ناحية وبين صفية وسمية ونجاة وعواطف من ناحية أخرى، فالأسماء الأولى معظمها تسميات أجنبية متأثرة في ذلك بثقافة المجتمع الذي تعيش فيه (مجتمع يوتوبيا) ظنًا منهم أن هذه التسميات الأجنبية تتماشى مع طبيعة حياتهم، وذلك على العكس من التسميات المرتبطة بمدينة شبرا، وهي جميعها تسميات مرتبطة دائمًا بتلك الأحياء الفقيرة، إن صح التعبير.

ب-التسمية المهنية:

ارتبطت بعض الشخصيات داخل الرواية بألقاب مهنية دلت على طبيعة عملها، وقد قصد الكاتب لهذه التسمية من أجل بيان حقيقة تلك الشخصية داخل الرواية من ناحية، وكذلك بيان أثر الواقع على هذه الشخصيات وارتباطه بها من ناحية أخرى، فنجد (مراد بك) الذي يطلق عليه (مالك الدواء)، وهو لقب يوضح ما لهذه الشخصية من تأثير داخل المجتمع، فهو يحتكر سوق الدواء جميعه، ولذلك أطلقوا عليه ملك الدواء، كذلك (علوي بك) الذي يلقب بملك الحديد، وأيضًا (عدنان بك) ملك اللحوم، وهي جميعًا ألقاب أراد الكاتب من خلالها أن يوضح تلك المكانة التي تحتلها هذه الشخصيات- شخصيات يوتوبيا- داخل الرواية.

أما لقب (البلطجي) فقد ارتبط بشخصية عبد الظاهر صديق جابر، وهو ابن ذلك المجتمع الفقير الذي جعله يمارس هذه المهنة حتى ارتبط به هذا اللقب. وعلى هذا فقد ساعدت التسمية في بيان طبيعة الشخصية ودورها داخل الرواية، كما أن الواقع كان له أثر كبير في اختيار الكاتب لهذه التسمية.

خاتمة:

بعد دراسة موضوع (رؤية الواقع وأثرها على بناء الشخصية في رواية يوتوبيا لأحمد خالد توفيق) توصلت الدراسة إلى بعض النتائج التي من أهمها:

١. أظهر الجانب التنظيري لهذه الدراسة أن مفهوم الشخصية الروائية مر بعدة تحولات على مر العصور المختلفة، حيث تبادل الأهمية هو وعناصر الرواية الأخرى لا سيما الحدث، كذلك فقد اصطبغ مفهوم الشخصية الروائية منذ القدم بالجانب الإنساني، إلا أن البنيويين نظروا إليه من الناحية الوظيفية فقط، ووجدوا أنه عبارة عن كائن من ورق، ولذلك يتحدد دوره بما يقدمه له الكاتب من وظيفة مرتبطة به.

٢. حاول الكاتب أحمد خالد توفيق باستمرار – على طول الرواية– عقد المقارنات الضدية بين الشخصيات، متأثرًا في ذلك برؤيته الخاصة عن المجتمع.

٣. كان للواقع أثر كبير على بناء الشخصية لدى الكاتب أحمد خالد توفيق في روايته يوتوبيا، فكان الوصف الاجتماعي للشخصية أبرز ركيزة اعتمد عليها الكاتب داخل روايته.

٤. كان للواقع أثر كبير على بناء الشخصيات النفسي والمادي؛ حيث ارتبطت كل شخصية بظروف المجتمع الذي تعيش فيه.

٥. عبر الحوار بنوعيه الداخلي والخارجي داخل رواية يوتوبيا عن مكنون الشخصية وما تريد أن تبوح به، وكشف للمتلقي مدى تأثر هذه الشخصيات بواقعها.

٦. لم تأتِ الأسماء التي اختارها الكاتب لشخصياته داخل الرواية اعتباطًا، وإنما دلت هذه التسميات على وعي كبير من الكاتب بطبيعة شخوصه الروائية.

حواشي البحث:

(١) هو كاتب وأديب مصري من مواليد محافظة الغربية ١٩٦٢م، كان يعمل طبيبًا لطب المناطق الحارة، اشتهر بكتابات أدب الرعب والخيال العلمي، وله روايات متعددة من أبرزها: رواية يوتوبيا، رواية السنجة، رواية في ممر الفئران، رواية شآبيب، وله كذلك بعض الترجمات الأدبية ك: سلسلة سافاري، وسلسلة روايات عالمية للجيب، وسلسلة رجفة الموت وغيرها من الأعمال، وتوفي عام ٢٠١٨م، وكان يلقب ب(عراب العرب).

(٢) منيرة نوري، لخضر الذيب: الفضاء بين الحلم اليوتوبي والكابوس الديستوبي، رؤية نقدية في مضمون رواية الآدميون لإبراهيم سعدي، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، الجزائر، المركز الجامعي لتامنغست، عدد ٥، مجلد ٩، ص ٨٩٢.

(٣) م. كيث بوكر، آن ماري توماس: المرجع في روايات الخيال العلمي، ترجمة: عاطف يوسف محمود، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط١، ٢٠١٠م، ص ١٢٧.

(٤) سيد حامد النساج: بانوراما الرواية العربية الحديثة، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ط٢، ص ١٩.

(٥) برنارد دي فوتو: عالم القصة، ترجمة: محمد مصطفى هدارة، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٦٩م، ص ٤٠.

(٦) لطيف زيتوني: معجم مصطلحات نقد الرواية، مكتبة لبنان، ناشرون، ط١، ٢٠٠٢م، ص ١١٣، ١١٤.

(٧) ميشال بورتو: بحوث في الرواية الجديدة، ترجمة: فريد أنطونيوس، منشورات عويدات، لبنان، بيروت، ط٣، ١٩٨١م، ص ٦.

(٨) لورانس بلوك: كتابة الرواية من الحبكة إلى الطباعة، ترجمة وتقديم: د. صبري محمد حسن، دار الجمهورية للصحابة، القاهرة، ٢٠٠٩م، ص ١٠.

(٩) انظر، عبد الملك مرتاض: في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ١٩٨٠م، ص ٨٦).

(١٠) د. أحمد شعث: بناء الشخصية في رواية (الحواف) لعزت الغزاوي، مجلة جامعة الخليل للبحوث، فلسطين، مجلد ٥، عدد ٢، ٢٠١٠م، ص ٢.

(١١) رولان بارت: مدخل إلى التحليل البنيوي للقصص، ترجمة: منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري، سوريا، ط١، ١٩٩٣م، ص ٧٢.

(١٢) سيد حامد النساج: بانوراما الرواية العربية الحديثة، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ط٢، ص ٢٠.

(١٣) روجر. ب. هينكل: قراءة الرواية ، مدخل إلى تقنيات التفسير، ترجمة وتقديم وتعليق د. صلاح رزق، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٥م، ص ٢٠٠.

(١٤) انظر، محمد علي سلامة: الشخصية الثانوية ودورها في المعمار البنائي عند نجيب محفوظ، دار الوفاء للطباعة، القاهرة، (ب.ت)، ص ٢٨.

(١٥) انظر: أ.م. فورستر، أركان الرواية، ترجمة: موسى عاصي، سمر روحي الفيصل، دار جروس برس للنشر، لبنان، ط١، ١٩٩٤م، ص ٣٧.

(١٦) د. أحمد جبر شعث: شعرية السرد في الرواية العربية المعاصرة، مكتبة القادسية للنشر والتوزيع، فلسطين، ط٥، ٢٠٠٥م، ص ١١٨.

(١٧) انظر: د. حمدي حسين: الشخصية الروائية عند محمود تيمور بين النظرية والتطبيق، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٧م، ص ٤٢.

(١٨) مهدي عبيدي: جماليات المكان في ثلاثية حنا مينا، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ٢٠١١م، ص ١٨٩.

(١٩) سمر الديوب: الثنائيات الضدية، دراسات في الشعر العربي القديم، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة سوريا، دمشق، ٢٠٠٩م، ص ٧.

(٢٠) إيمان تاور سارجنت: اليوتوبية، مقدمة قصيرة جدًا، ترجمة: ضياء وراد، مراجعة: مصطفى محمود، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ط١، ٢٠١٦م، ص ١٢.

(٢١) أحمد خالد توفيق: رواية يوتوبيا، دار الشروق، القاهرة، ط١، ٢٠١٤م، ص ٣٧.

(٢٢) المصدر السابق، ص ٢١.

(٢٣) السابق، ص ٤٩، ٥٠.

(٢٤) إيمان حوامد، خولة هني: الواقع والمتخيل في رواية على أبواب الملحمة، من جلسات العلامة عليم الدين، لصلاح صالح الراشد، رسالة ماجستير، كلية الآداب واللغات، ج. الشهيد حمه لخضر الوادي، الجزائر، ٢٠١٨م، ص ١٢.

(٢٥) السابق، ص ٣٣.

(٢٦) رواية يوتوبيا، ص ١١٣.

(٢٧) رواية يوتوبيا، ص ٢٦، ٢٧.

(٢٨) السابق، ص ١٨٦.

(٢٩) نفسه، ص ٦١.

(٣٠) نفسه، ص ٧٧.

(٣١) نفسه، ص ١٨.

(٣٢) نفسه، ص ٩٦.

(٣٣) انظر: د. محمد غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٧م، ص ٥٢٧.

(٣٤) انظر: حميد الحميداني: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩١م، ص ٤٨.

(٣٥) شهيرة جمال فتحي: المكان وعلاقته بضمائر السرد، حولية كلية الآداب، جامعة بني سويف، مجلد ٧، ج٢، ٢٠١٨م، ص ٧.

(٣٦) رواية يوتوبيا، ص ١٩.

(٣٧) نفسه، ص ١٤٣.

(٣٨) نفسه، ص ٥٣، ٥٤.

(٣٩) نفسه، ص ١٠٦.

(٤٠) نفسه، ص ٣٦.

(٤١) نفسه، ص ١٠٦.

(٤٢) نفسه، ص ٨٦.

(٤٣) نفسه، ص ١٦، ١٧.

(٤٤) نفسه، ص ٦٧.

(٤٥) نفسه، ص ١٠٤.

(٤٦) رواية يوتوبيا، ص ١٣، ١٤.

(٤٧) نفسه، ص ٩٥.

(٤٨) نفسه، ص ١١٢.

(٤٩) وئام رشيد عبد الحميد: تقانات السرد في الخطاب الروائي العربي في فلسطين، من عام ١٩٩٤- ٢٠٠٦م، ماجستير، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، ٢٠١٠م، ص ١٥٣.

(٥٠) ميخائيل باختين: الكلمة في الرواية، ترجمة: يوسف حلاق، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ط١، ١٩٨٨م، ص ٢٤.

(٥١) رواية يوتوبيا، ص ٩٧.

(٥٢) نفسه، ص ٩٥.

(٥٣) نفسه، ص ٧٠.

(٥٤) نفسه، ص ١٨٤.

(٥٥) انظر: ديفيد لودج: الفن الروائي، ترجمة: طاهر البطوطي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص ٤٥.

(٥٦) انظر، أحمد علواني: تحليل الأسماء الروائية، وتفكيك الأنساق الثقافية، مجلة فصول، العددان ٨٩، ٩٠، ٢٠١٤م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ص ١٣٠.

قائمة المصادر والمراجع:

- **المصدر الرئيس:**

١. **أحمد خالد توفيق: رواية يوتوبيا، دار الشروق، القاهرة، ط١، ٢٠١٤م.**

- **مصادر ومراجع عربية وأجنبية:**

٢. إيمان تاور سارجنت: اليوتوبية، مقدمة قصيرة جدًا، ترجمة: ضياء وراد، مراجعة: مصطفى محمود، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ط١، ٢٠١٦م.

٣. إيمان حوامد، خولة هني: الواقع والمتخيل في رواية على أبواب الملحمة، من جلسات العلامة عليم الدين، لصلاح صالح الراشد، رسالة ماجستير، كلية الآداب واللغات، ج. الشهيد حمه لخضر الوادي، الجزائر، ٢٠١٨م.

٤. أحمد علواني: تحليل الأسماء الروائية، وتفكيك الأنساق الثقافية، مجلة فصول، العددان ٨٩، ٩٠، ٢٠١٤م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

٥. أحمد جبر شعث: شعرية السرد في الرواية العربية المعاصرة، مكتبة القادسية للنشر والتوزيع، فلسطين، ط٥، ٢٠٠٥م.

٦. أحمد شعث: بناء الشخصية في رواية (الحواف) لعزت الغزاوي، مجلة جامعة الخليل للبحوث، فلسطين، مجلد ٥، عدد ٢، ٢٠١٠م.

٧. برنارد دي فوتو: عالم القصة، ترجمة: محمد مصطفى هدارة، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٦٩.

٨. أ.م. فورستر، أركان الرواية، ترجمة: موسى عاصي، سمر روحي الفيصل، دار جروس برس للنشر، لبنان، ط١، ١٩٩٤م.

٩. حمدي حسين: الشخصية الروائية عند محمود تيمور بين النظرية والتطبيق، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٧م.

١٠.حميد الحميداني: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩١م.
١١.ديفيد لودج: الفن الروائي، ترجمة: طاهر البطوطي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٢م.
١٢.روجر. ب. هينكل: قراءة الرواية ، مدخل إلى تقنيات التفسير، ترجمة وتقديم وتعليق د. صلاح رزق، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٥م.
١٣.رولان بارت: مدخل إلى التحليل البنيوي للقصص، ترجمة: منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري، سوريا، ط١، ١٩٩٣م.
١٤.سمر الديوب: الثنائيات الضدية، دراسات في الشعر العربي القديم، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة سوريا، دمشق، ٢٠٠٩م.
١٥.سيد حامد النساج: بانوراما الرواية العربية الحديثة، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة.
١٦.شهيرة جمال فتحي: المكان وعلاقته بضمائر السرد، حولية كلية الآداب، جامعة بني سويف، مجلد ٧، ج٢، ٢٠١٨م.
١٧.عبد الملك مرتاض: في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ١٩٨٠م.
١٨.لطيف زيتوني: معجم مصطلحات نقد الرواية، مكتبة لبنان، ناشرون، ط١، ٢٠٠٢م.
١٩.لورانس بلوك: كتابة الرواية من الحبكة إلى الطباعة، ترجمة وتقديم: د. صبري محمد حسن، دار الجمهورية للصحابة، القاهرة، ٢٠٠٩م.
٢٠.محمد علي سلامة: الشخصية الثانوية ودورها في المعمار البنائي عند نجيب محفوظ، دار الوفاء للطباعة، القاهرة، (ب.ت).

٢١.محمد غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٧م.
٢٢.م. كيث بوكر، آن ماري توماس: المرجع في روايات الخيال العلمي، ترجمة: عاطف يوسف محمود، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط١، ٢٠١٠م.
٢٣.منيرة نوري، لخضر الذيب: الفضاء بين الحلم اليوتوبي والكابوس الديستوبي، رؤية نقدية في مضمون رواية الآدميون لإبراهيم سعدي، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، الجزائر، المركز الجامعي لتامنغست، عدد ٥، مجلد ٩.
٢٤.مهدي عبيدي: جماليات المكان في ثلاثية حنا مينا، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ٢٠١١م.
٢٥.ميخائيل باختين: الكلمة في الرواية، ترجمة: يوسف حلاق، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ط١، ١٩٨٨م.
٢٦.ميشال بورتو: بحوث في الرواية الجديدة، ترجمة: فريد أنطونيوس، منشورات عويدات، لبنان، بيروت، ط٣، ١٩٨١م.
٢٧.وئام رشيد عبد الحميد: تقانات السرد في الخطاب الروائي العربي في فلسطين، من عام ١٩٩٤– ٢٠٠٦م، ماجستير، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، ٢٠١٠م.